مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٣/١٢/٣١

**بصراحة** يكتبها محمد حسنين هيكل

## اسرائيل : ما يجرى فيها وما جرى

# مغامرة «الجنرال شارون» وحكاياتها ونتائجها

**لا أظن** أن المؤتمر الدولى الذى يبدأ اليوم فى جنيف ، سوف يعبر بأزمة الشرق الاوسط ذلك الجسر الدقيق والحرج بين الحرب والسلام . ولعلى من هنا فضلت تسميته بـ « **مؤتمر جنيف** » وليس « **مؤتمر السلام فى جنيف** » ـ ذلك أن هذا المؤتمر تحيط به وتضغط عليه مجموعة **عوامل وظروف** موضوعية ، تجعل دوره فى تحقيق سلام الشرق الاوسط مهمة صعبة ، وأكاد أقول مستحيلة ، ما لم تتبدل هذه العوامل ولم تتغير هذه الظروف

وربما قلت اننى **لا أرى ضررا** من حضور هذا المؤتمر اذا كان من وراء ذلك « اختبار للنوايا » ـ ولكنى أقول على الفور اننى **لا أرى نفعا** من حضوره اذا كنا نتصوره طريقا الى نتائج سريعة ومحققة .

والاسباب التى تدعونى الى ذلك القول ، وهى تعبير بشكل أو بآخر عن مجموعة العوامل والظروف الموضوعية التى تحيط بهذا المؤتمر وتضغط عليه ، كما يلى وفيما أتصور :

❶ ان الدور الامريكى — حتى هذه اللحظة — مثير للشك وليس داعيا للطمانينة ... وحتى الان فان هذا الدور يضغط على العرب ولا يضغط على اسرائيل ، بصرف النظر عن بعض الايحاءات السطحية التى تريد ان تقنع بعكس هذا .

وليست تهمنى كثيرا مظاهرة من عشرين أو ثلاثين شخصا ذهبوا لاستقبال الدكتور هنرى كيسنجر عند وصوله الى مطار اللد رافعين « الشماسى » تذكيرا لكيسنجر بدور « تشمبرلين » عندما استسلم فى ميونيخ أمام هتلر سنة ١٩٣٨ — وانما تهمنى أكثر من ذلك حقائق لا علاقة لها بأية مظاهرات مسرحية : منها مثلا أن تزاد قيمة المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل ؛ وان يصدق مجلس النواب الامريكى على هذه المساعدات قبل وصول كيسنجر الى الشرق الاوسط بثلاثة أو أربعة أيام — ومنها مثلا أحاديث كيسنجر اثناء مؤتمر وزراء خارجية حلف الاطلنطى ، ومحاولته تذكير أوربا الغربية بأنها فشلت تماما فى فهم حرب أكتوبر ، وان تعرض اسرائيل لنكسة فيها كان خطرا مخيفا على حلف الاطلنطى ، وان دول أوربا الغربية أخطأت حين منعت سيل المساعدات الامريكية المتدفق على اسرائيل من المرور عبر أوربا — ومنها مثلا — هذه التأكيدات التى اعطاها الدكتور كيسنجر لهولندا بأن الولايات المتحدة سوف تقدم لها ما تحتاج اليه من البترول بما يبطل مفعول الحظر العربى على تصديره

اليها ـ **ومنها مثلا** ذهاب كيسنجر لزيارة لشبونة عاصمة البرتغال ، كتعبير عن تقدير أمريكا للدولة الاوربية الوحيدة التى سمحت بمرور المساعدات الامريكية لاسرائيل عبر أراضيها ـ **ومنها مثلا** عجز امريكا عن الضغط على اسرائيل لتنفيذ البند الثانى من النقط الست المشهورة وهو البند الخاص بالعودة الى خطوط ٢٢ اكتوبر ، مع أن هذه النقط الست كانت من فكر وصياغة الدكتور هنرى كيسنجر نفسه ، وقد نفذت مصر منها ما يخصها ، ولم تنفذ اسرائيل منها بندا واحدا كان يخصها ـ **ومنها مثلا** ان امريكا راحت تضغط على العرب لكى يوقفوا تخفيض ضخ البترول الى الغرب ، وحجتهم فى ذلك كما قال الدكتور كيسنجر فى الرياض للملك فيصل « **ان استمرار الضغط بالبترول على هذا النحو لايتيح لامريكا أن تقوم بدورها الذى تأمل القيام به ، والا سمحت لنفسها كقوة عظمى بأن تتصرف تحت الاكراه ، وأن يملى عليها غيرها سياساتها وممارساتها** » !

❷ **ان الدور السوفيتى ـ حتى هذه اللحظة ـ يتحدث عن ازمة الشرق الاوسط فى نبرة هادئة أكثر مما ينبغى ، والى درجة لا تسمح لكثيرين ان يتبينوا بالضبط ماذا يقول الاتحاد السوفيتى [ وهذه مسألة ليس هذا وقت مناقشتها تفصيلا ، ثم ان التطورات قد ترتفع بصوت الاتحاد السوفيتى الى طبقة عالية ] .وان كان علينا أن نسلم بأن الاتحاد السوفيتى له الحق فى ان يشعر ببعض ما يشعر به اليوم من مرارة ذلك لان هناك من ينسون أنه اذا كانت هناك صداقة دولية ذات أهمية حيوية للعرب ـ فهذه الصداقة هى مع الاتحاد السوفيتى بالدرجة الاولى ...**

❸ **ان الدور العربى لا يذهب الى المؤتمر بكامل قوته وفعاليته ، ذلك أن التحالف العربى الكبير الذى اضاف الى حرب أكتوبر مهابة شعرت بها الدنيا كلها ، راح يتباعد فى آرائه ، وأحيانا فى تصرفاته ...**

٤ ان الدور الخاص الذى كان منتظرا فى هذا المؤتمر للامم المتحدة، تواضع الى درجة تثير القلق ، ولقد أصبح هذا الدور مجرد رئاسة شرف « لمالدهايم » ، مقصورة على مراسم الافتتاح، وقد حدث ذلك تحت ضغط مكثف وعنيف جعل مقر الامم المتحدة فى نيويورك ومكتب سكرتيرها العام تائها لا يعرف ماذا يفعل ، ولا ما هو مطلوب منه !

٥ ان الدور الاوربى مشتت بالحيرة بين اعتبارات متباينة تتجاذبه ، وعلى أى الاحوال فان الدور الاوربى قد عزل — ولو مؤقتا — عن التأثير المباشر فى مؤتمر جنيف ، لان اسرائيل أصرت على عدم اشتراك بريطانيا وفرنسا فى المؤتمر ، وسمحوا لها بما أصرت عليه رغم ارتباط عضوى بين الامن الاوربى والامن فى الشرق الاوسط .

٦ ان دور البترول العربى وهذه مسألة حساسة ولابد ان نتنبه لها — يتعرض لمحاولات من جانب بعض العناصر والقوى. وهى تحاول أن تتجه به الى لعبة رفع الاسعار وتتصور انها بذلك تغريه بأن يرفع درجة استفادته هو من الازمة ، اكثر من درجة استفادة الازمة منه [ وهذه أيضا مسألة ليس هذا وقت مناقشتها تفصيلا ] ولقد أقول لكى لا يكون هناك مجال لاى لبس ان لعبة رفع الاسعار لا بأس بها ، ولكن معيار جدواها بالنسبة للمعركة هو ماتقدمه زيادة الاسعار عمليا من دعم مباشر لاعباء المعركة .

٧ ان اسرائيل تريد ان تصدق نفسها فى نتائج حرب اكتوبر ، بل أكاد أقول انها تريد أن توهم نفسها فى هذه النتائج ، على أساس أن تقدمها لعدة كيلو مترات وراء خط وقف اطلاق النار فى سوريا ، كما ان تمكنها من عبور البحيرات المرة وفتح ثغرة الى الغرب من قناة السويس ، يجعل حرب أكتوبر فى النتيجة النهائية لصالحها وليست ضدها . وقد عبر الجنرال ياريف عن هذا الشعور الاسرائيلى فى آخر اجتماع عقد عند الكيلو ١٠١ ، ففى ذلك الاجتماع استمع الجنرال ياريف الى اقتراح مصرى بخطوط الفصل بين القوات المتحاربة ثم كان تعليقه :

ـ ولكن ذلك لا يعكس النتائج الحقيقية لحرب أكتوبر » .

ولقد رد عليه اللواء الجمسى منبها ومذكرا ، ولكن الجنرال ياريف ظل على عناده وتوقفت اجتماعات الكيلو ١٠١ وكان ذلك خيرا ، لان هذه الاجتماعات من أولها الى آخرها كانت تجربة فى الفراغ !

□

وهذه النقطة الاخيرة ، نقطة رغبة اسرائيل في تصديق نفسها ، او ايهام نفسها ، هى النقطة التى تعنينى فى هذا الحديث ، وهو كما قد نتذكر حديث يركز على « اسرائيل وما يجرى فيها وما جرى » وتاثيره على الانتخابات العامة التى اقترب موعدها ، وهى انتخابات سوف تحكم تصرفات العدو ومزاجه لعدة سنوات قادمة ، كما ان حساب الاصوات فيها سوف يكون مصدر كل قراراته فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الشرق الاوسط وصراعاته الكبرى !

لقد مشت اسرائيل شوطا طويلا على طريق تصديق النفس او ايهام النفس . وربما قلنا ان هذا الشوط الطويل بدا بشكل حاد منذ تلك الايام الحزينة فى يونيو سنة ١٩٦٧ وحين احرزت اسرائيل نصرا لم يكن فى مجال تصديقها او حتى فى مجال اوهامها

وتكفينى فى ذلك قصة بسيطة فى وقائعها ، مهمة فيما تدل عليه ، رواها لى الجنرال اندريه بوفر القائد العسكرى الذائع الصيت ومدير مركز الدراسات الاستراتيجية الفرنسى ومستشاره الاكبر حتى الان .

كانت اسرائيل مبهورة ـ قبل اى طرف آخر ـ بما تحقق لها فى معارك الايام الستة . وكان هناك فى العالم الخارجى من الخبراء العسكريين من اذهلهم هذا الذى تحقق لاسرائيل ، وهرع بعضهم الى هناك يدرسون ويبحثون وكان بينهم الجنرال اندريه بوفر .

وكان الجنرال بوفر يعرف الجنرال ديان من وقت حرب السويس سنة ١٩٥٦ فقد كان ديان مسئولا عن عملية سيناء وكان بوفر مسئولا عن الغزو البريطانى الفرنسى ضمن خطة التواطؤ الثلاثى المشهور

ووضعت القيادة العسكرية الاسرائيلية طائرة هليكوبتر تحت تصرف الجنرال بوفر وطار بها فوق مسارح العمليات ، وبالذات مسرح العمليات فى سيناء .

وعاد الجنرال بوفر من رحلة الهليكوبتر فوق سيناء بالضبط مساء يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ والتقى بالجنرال ديان وقال له :

ـ ان ماتحقق لكم كان شيئا لم يسبق له مثيل ؟ »

وروى لى الجنرال بوفر :

ـ ان ديان كان شديد التواضع فى مسلكه وفى رد فعله ... وكان تعليقه على ما قلت هو :

« فى الحقيقة ان الذى يستحق التقدير هو رابين ... كان هو الذى اشرف على اعداد الخطة كرئيس لهيئة اركان الحرب ، واما انا فلم يكن لى دخل فيها لاننى عينت وزيرا للدفاع قبل نشوب القتال بثلاثة ايام فقط وكان تعيينى لاعتبارات سياسية اكثر منها عسكرية »

ويستطرد الجنرال بوفر فى روايته لى فيقول :

ـ وتصادف فى نفس الليلة اننى قابلت رابين رئيس هيئة اركان الحرب الاسرائيلى : وكان رابين متعبا ومرهقا بعد ليال طويلة بغير نوم وقلت له :

لقد تحقق لكم شىء كبير ... وقال لى الجنرال ديان قبل ساعة واحدة ان الفضل كله يرجع اليك »

كان رابين هو الاخر شديد التواضع فى مسلكه وفى رد فعله ... وكان تعليقه على ما قلت بالحرف كما يلى :

« لا اعرف ما الذى سيبقى من هذا الذى تحقق لنا كله ... اغلب الظن انه كله ـ الاراضى بقصد ـ سوف يعود الى اصحابه »

□

كانت هذه مشاعر القيادة الاسرائيلية العليا غداة معارك الايام الستة ... مشاعر غاية فى التواضع أو لعلى أقول غاية فى الواقعية .. مشاعر لا تريد ان تصدق حتى ماتراه امام عيونها وقد تحقق لها ، ولا تريد مجرد ايهام نفسها فى النتائج البعيدة لما حدث

ومرت أيام ... واسابيع ... وشهور

اكثر واكثر مع كل يوم واسبوع وشهر راحوا يصدقون انفسهم

اكثر واكثر مع كل يوم واسبوع وشهر راحوا يوهمون انفسهم

وفى البداية بدا ان القدس وحدها هى المطمع ... لم تعد قابلة للمناقشة ... لن تعود عربية بعد الان ... ثم لحقتبها مرتفعات الجولان واجزاء كبيرة من الضفة الغربية ... ثم جاء الدور على غزة ... ثم شرم الشيخ ... وشريط ساحلى من ايلات الى شرم الشيخ ...

وانتهت العملية وكان اغتصاب الاوطان خط واحد ممتد من جبل الشيخ الى شرم الشيخ ...

كانت عمليـــة مخيفـــة فى تفاعلاتها وفى آثارها ...

بدا التـــاريخ يتراجع امام الاساطير .

وبرزت اسطورة الجيش الذى لا يقهر

وأحاط ديان نفسه بهالة المنتصر لدرجة ارتفعت معها أصوات فى الكونجرس الامريـــكى تطـــالب بالاستعانة به فى حرب فيتنام ايام كان الجيش الامريـــكى يواجـــه اصـــعب فـــترات حـــربه فى مستنقعاتها

ووصل دافيد اليعازر ــ خليفة رابين فى رئاســـة هيئـــة اركان حرب الجيش الاسرائيلى الى حد قال عنده :

ــ ان الجيش الاسرائيلى قادر على غـــزو العالم العـــربى كله واخضاعه من الخليج الى المحيط »

وتبخر التساؤل الواقعى الذى عبر عنه رابين مساء يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ، حين قال للجنرال بوفر

ــ لا اعرف ما الذى سيبقى من هذا كله ! »

تراجع التاريخ ــ كما قلت ــ وتقدمت الاساطير ... وسادت وحـــكمت حتى كان يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

لقد كان مســـتحيلا ان يكون هناك حل لازمة الشرق الاوسط فى ظل الاساطير

ولم يكن مســـتحيلا ان يكون هناك حل لازمة الشرق الاوسط فى ظل التاريخ

وكانت اهمية ما حدث يوم ٦ اكتوبر ــ خصوصا باقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف ــ انه فى جـــوهره كان اقترابا من التاريخ وابتعادا عن الاساطير

ان التاريخ قد يسمح لاسرائيل بتفوق لبعض الوقت على بعض العرب ، ولكن التاريخ لا يمكن ان يسمح بتفوق لاسرائيل طـــول الوقت على كل العرب

وقد نتحدث عن فجوة حضارية تعطى لاسرائيل ميزة سبق على العرب ...

وقد نتحدث عن ضعف فى الفكر الاستراتيجى العربى يترك المجال فسيحا لاسرائيل ...

وقد نتحدث عن فقر فى التجربة القتالية الحديثة حصلت عليها اسرائيل ولم ينلها العرب ...

وقد نتحدث عن أن الصراع فى حقيقته هو صراع بين «كم» عربى مبعثر فى اتجاهات شتى، «وكيف» اسرائيلى مسخر فى اتجاه واحد محدد

قد نتحدث عن ذلك كله وغيره

ولكن التاريخ ــ اذا كنا نتحدث عن التاريخ وليس عن الاساطير ــ يعلمنا ان ذلك كله مؤقت ، وان الموازين فيه قابلة للتغير بل وللانقلاب تماما اذا استطاع العرب ...

اذا استطاع العرب ان يحققوا اضافة كيفية ولو محدودة الى الكم العربى اللامحدود .

□

كان يوم ٦ اكتوبر ــ وهذه اهميته القصوى ــ بداية لعملية تراجع الاسطورة امام التاريخ

وفى الساعات الاولى لم تكن اسرائيل وحدها هى التى رفضت ان تصدق ما حدث ولكن العالم كله ــ غارقا تحت اوهام ست سنوات كاملة ــ رفض ان يصدق

وفى اليوم التالى لم يكن فى وسع العالم الا أن يصدق مابراه وينزع عن نفسه كل وهم مسبق

وبعد اسبوع من الحرب كانت الحقيقة قد بدأت تتسرب الى اسرائيل وتنساب الى قلبها من الاطراف على جبهات القتال !

وعبر « كاتزير » رئيس اسرائيل عن ذلك بوضوح حين قال فى لحظة حقيقة :

ــ لقد عشنا سنوات طويلة على الوهم ... وقد جاء الوقت لكى ننزع عن عيوننا غشاوته ولكى نطل على الامور بمنظار الحقيقة »

وكانت تلك هى الفترة التى قبلت فيها اسرائيل بوقف اطلاق النار على « المواقع الحالية » فى ذلك الوقت ــ ١٢ اكتوبر ــ .. وهى مواقع كان الجيش المصرى فيها قد تمكن من احتلال الضفة الشرقية لقناة السويس كلها . ثم تقدم بعد ذلك على خط مواجهة يتراوح عمقه مابين ١٨ الى ٢٢ كيلو مترا .

وكانت تلك هى الفترة التى

نزلت فيها اسرائيل على ركبتيها أمام الولايات المتحدة الامريكية تطلب المدد السريع وبالطائرات قبل أن يفوت الوقت .. تنازلت عن دور الشريك للولايات المتحدة وهو دور كانت تزهو به بعد سنة ١٩٦٧ ... وعادت الى دور التابع وهو حجمها الحقيقى !

كان التاريخ يؤكد نفسه ... وكانت الاساطير تبتعد كما يبتعد سراب الصحراء

وفجاة طرأ طارىء وهو الثغرة التى فتحتها اسرائيل عبر البحيرات المرة لكى تدفع « بقوة عمل » الى الضفة الغربية من قناة السويس ...

ان الايام سوف تثبت أن عملية الثغرة كانت فى وقتها مغامرة عسكرية براقة ولكنها فى حقيقة الامر وعلى المدى الطويل سوف تصبح عقبة سياسية من الدرجة الاولى لسبب محدد وهو أن هذه الثغرة سوف تتحول الى غشاوة تحجب عن الناس فى اسرائيل رؤية التاريخ وحركته وتبقيهم فى اسار الاسطورة وثباتها الغيبى

سوف تثبت الايام يقينا : أن اسرائيل كانت على وشك مواجهة الحقيقة التاريخية ولكن مغامرة الجنرال آريل شارون عطلت هذه العملية لبعض الوقت ، وسوف يدفع كثيرون فى اسرائيل ثمن هذا التعطيل للتاريخ مضاعفا وفادحا

وهذه هى المأساة فيما فعله الجنرال شارون الذى يظن نفسه الان بطلا بينما هو فى الحقيقة مغامر ضد التاريخ

□

يقول الجنرال شارون نفسه فى روايته لقصة مغامرته فى الغرب ، وهى الرواية التى ادت الى قطيعة بينه وبين الجنرال حاييم بارليف رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى السابق ووزير التجارة الحالى والذى استدعى بعد حرب أكتوبر ليتولى التنسيق بين الجنرالات المتخاصمين على جبهة سيناء :

ـ كان الموقف بالغ السوء ... ان المصريين استطاعوا اخذ المبادأة والمفاجآة ... ثم الحقوا بنا خسائر فادحة ... كانت هذه حربا حقيقية ... لقد خضت معارك كثيرة من قبل ولكن هذه كانت حربا حقيقية

ولقد أحسست ان الحرب

سوف نتوقف فى أى ساعة : الخسائر من الصواريخ على الناحيتين عالية ...

والموازين الدولية تتحرك ..

وفى أى لحظة فانه قد ينزل علينا وعلى ميدان القتال كله قرار بوقف اطلاق النار ، ووقف اطلاق النار على الوضع الذي كنا فيه سوف يكون كارثة

كان لابد من عمل جرىء قبل وقف اطلاق النار

... عمل يمكن عنده ــ من جانبنا ــ ان نقبل وقف اطلاق النار وفى نفس الوقت لا نكون عنده قد فقدنا كل سمعتنا .

وكان الحل هو عبور القناة الى الغرب

وعندما كنت قائدا لجبهة سيناء حتى ١٥ يوليو من هذه السنة فانى كنت افكر فى هذا الحل فيما لو حدث واقدم الجيش المصرى على عبور القناة

وقد استطلعت الجبهة على شاطىء القناة ... واخترت موقع عبورنا المحتمل وطلبت الى سلاح المهندسين تقليل كثافة الحاجز الترابى عنده .. وطلبت بناء علامة من الاحجار الحمراء تشير الى هذا الموقع وتذكرنا به

وهكذا ذهبت يوم ١٢ اكتوبر الى اجتماع فى القيادة الجنوبية اقترح السماح لى بتنفيذ خطتى فى الغرب

ولم يكن الجنرال جونين قائد جبهة سيناء متحمسا لفكرتى ، ولا كان الجنرال حاييم بارليف المسئول عن التنسيق فى الجبهة متحمسا لها لكنى صممت واظن اننى نجحت ! »

□

ان الجنرال شارون يدعى لنفسه بذلك اكثر مما يستحق لكنه فى حمى المغامرة نسى حقائق كثيرة

... نسى ان فكرة عبور القناة من الشرق الى الغرب وعند البحيرات المرة برزت لاول مرة فى التاريخ الحديث بخطط وضعها الجنرالات الالمان الذين كانوا يقودون الجيوش التركية فى محاولة استعادة مصر للخلافة العثمانية ابان الحرب العالمية الاولى

ثم ان القيادة الاسرائيلية بعد سنة ١٩٦٧ ، وبشهادة الجنرال حاييم بارليف نفسه ، عادت الى بعث الخطط الالمانية القديمة

واعدتها تفصيلا فى حالة اقدام القوات المصرية على محاولة عبور قناة السويس من الغرب الى الشرق .

بل اقول ما هو اكثر

اقول ان القيادة السياسية والعسكرية المصرية كانت منذ سنة ١٩٦٧ ، تتحسب لهذا الاحتمال ، وتعتقد انه فى حالة عبور مصرى لقناة السويس من الغرب الى الشرق بهدف التحرير فان اسرائيل سوف تحاول عبورها ، وعند البحيرات المرة ، من الشرق الى الغرب .

وكانت هناك خطط لمواجهة هذا الاحتمال .. بل وجرت تدريبات عملية عليه ورصدت له قوات قامت باجراء هذه التدريبات عشرات المرات .

وقد اعترف الجنرال آريل شارون بنفسه بهذه الحقيقة ذات ليلة من ليالى اكتوبر .

كان قد دعا عددا من الصحفيين الاجانب للمبيت معه فى عربة القيادة المتنقلة ، وعندما حل المساء جاء بزجاجة من الكونياك وجلس يتحدث معهم ... واقبل ضابط الاتصال الصحفى ، وهو برتبة ماجور ، يقول لهؤلاء الصحفيين انهم لايستطيعون المبيت فى عربة القيادة .

وقال شارون أمام هؤلاء الصحفيين [ لضابط الاتصال الصحفى ] :

ـ ماهى رتبتك ؟ »

وقال الضابط :

ـ اننى برتبة ماجور يا سيدى ؟ »

ـ حسن ... وأنا ماجور جنرال ... واذن فاننى أحكم ... انهم سوف يبيتون معى هنا وليس لك شأن بهذا » .

وقضى الصحفيون ليلتهم مع الجنرال شارون .

وفى الليل ، ومع زجاجة الكونياك ، كان الجنرال شارون متجليا على الاخر مع ضيوفه ، وكان مما قاله لهم وقد سمعته بنفسى من احدهم ، كما استمعت اليه معه ، مسجلا بصوت الجنرال شارون وهو صوت خفيض ممتلىء :

ـ لقد كان المصريون يتوقعون فى خططهم احتمال عبورنا لقناة السويس من الشرق الى الغرب

ان ضابط المخابرات المصرية لهذا القطاع من الجبهة وقع أسيرا فى يد قواتى وقد عثرنا

معه على خريطة تحدد بالضبط مكان عبورنا المحتمل وخطتنا بعد العبور .

كانت خطتنا كلها على خريطته كان هناك تفصيل واحد اختلف مع ماحدث فعلا .

كانت الخريطةتقول بان طلائع قواتنا سوف تكون دبابات برمائية ... ولكننا لم نستعمل دبابات برمائية ... »

واستطرد شارون :

ـ الغريب ... ان استعمال الدبابات البرمائية كان فى خطتى الاصلية ، ولكنى عدلت عن ذلك لان الدبابات البرمائية لم تصلنى فى الموعد الذى اردته وتصرفت بغيرها ... نقلت بعض طلائع قوات العبور بالهليكوبتر على الناحية الاخرى لتامين رأس جسر ... ثم استعملت أطواقا عائمة ... ان اللواء المدرع الأول الذى استعملته ليفتح الطريق ليله ١٦ أكتوبر عبر كله على هذه الاطواف العائمه ، وبعدها إستطعنا نصب أول جسر ، ولم يكن هذا الجسر مامونا فى نظر القيادة العامة فى سيناء ، ولذلك فان الجنرال بارليف رفض تعزيز قواتى بلواء ثان آخر ، لانه قدر ان الجسر الذى نصبناه تنقصه الحماية الكافية » .

اننى هنا لا اقترب من الاسباب التى ادت من وجهة نظر مصرية الى نجاح المغامرة الاسرائيلية ، فهذا الموضوع يحتاج الى دراسة متأنية ، ثم انه يحتاج الى توقيت ملائم .

ولكنى اعود الى استخلاص بعض الحقائق من رواية الجنرال شارون :

❶ ان الجنرال شارون نفسه يعرف انه قام بمغامرة لم تكن هيئة اركان الحرب الاسرائيلية ولا ممثلها المسئول عن التنسيق فى جبهة سيناء ، وهو الجنرال حاييم بارليف متحمسا لها .

ولقد قيل ، والقول صحيح اغلب الظن ، ان الجنرال بارليف » طلب فى بعض مراحل العملية الى « الجنرال شارون » ان يوقفها لان نجاحها مشكوك فيه ، لكن الجنرال شارون قطع كل اتصالات تليفونية مع مركز قيادته لمدة ست ساعات ، ثم عاد بعد هذه الفترة يتصل ببارليف ويقول له :

ـ ابلغونى انك طلبتنى عدة مرات باللاسلكى ... ولكنى لم استطع الاتصال بك ... لقد قمت بالمهمة واريد الان تعزيزات ! »

وقال الجنرال بارليف فى حديث صحفى وافق عليه رسميا للنشر :

ـ « ان الجنرال شارون خالف عقيدة هامة من عقائد الحرب الاسرائيلية ، وهى ان تكون الخسائر البشرية فى اقل حد ممكن ... وقد دفعنا خسائر كثيرة فى عملية شارون ، وكان ذلك ضد عقائدنا » .

❷ ان الجنرال شارون نفسه لاينكر فى كل ماقاله ان احتمال صدور قرار بوقف اطلاق النار كان على الابواب ، وانه اقدم على مغامرته متأكدا من ان وقف اطلاق النار سوف يحميها ويغطى مخاطرها .

❸ ان الجنرال شارون نفسه يسلم بان هدفه من مغامرته كان تحويل الانظار عن الصدمة التى تلقاها الجيش الاسرائيلى عندما نجح الجيش المصرى فى اقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف .

❹ ان الجنرال شارون اول من يعلم انه استعمل الغش فى لعبته ، ذلك لانه لم يستطع تعزيز مواقعه على الضفة الغربية الا بعد سريان وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر ، وانه فى الفترة ما بين ٢٢ اكتوبر بعد سريان وقف اطلاق النار الاول الى يوم ٢٥ اكتوبر ـ تأكيد وقف اطلاق النار مرة اخرى بوساطة مجلس الامن ـ فانه استطاع مد سيطرته على رقعة من الارض فى الغرب تزيدمرتين على الرقعة التى كان قد استولى عليها بالقتال .

بالقتال حصل على واحد ، وبالغش اضاف للواحد اثنين !

وعلى اى حال ، فان الغش على هذا النحو ليس بعيدا عن عقائد الحرب الاسرائيلية ، بل انه عملية تكررت فى كل تجربة من تجارب وقف اطلاق النار السابقة ،ومنذ هدنة سنة ١٩٤٨ الاولى ـ وحتى الان .

❺ ان الجنرال شارون سمع بتقييم عدد من كبار خبراء الاستراتيجية فى العالم لمغامرته وكان وصف احدهم لها ، صريحا للغاية ، اذ قال :

ـ ... لقد بدت لى فى ايامها الاولى نوعا من حرب السينما ...

ولكن وقف اطلاق النار ـ بصرف النظر عن الاسباب المختلفة التى دعت اليه ـ اعطاها فرصة اكثر مما تستحق من وجهة نظر استراتيجية » .

ماهو أثر ذلك على اسرائيل ؟

اثره ـ مع الرغبة الحارقة فى تصديق النفس ، وتصديق الوهم ـ هو ان ينسى الناس فى اسرائيل عبرة التجربة الضخمة التى عاشوها من ٦ اكتوبر الى ١٦ اكتوبر

يهبطون بها من حدث تاريخى خطير الى حادثة عارضة اصابتهم بجروح ورضوض .

... يتصورون ان ما حدث كان مجرد تقصير ... ملافاته ممكنة .

يتصورون ان ماحدث كان مجرد اهمال ... الحساب عنه ضرورى

لكنه فى هذه الحدود لايتجاوزها ولتبق الاساطير وليذهب التاريخ . ومعنى ذلك انه لا حل للأزمة ... لانه ليس هناك ما يدعو الى الانسحاب الكامل الى خطوط ما قبل يونيو سنة ١٩٦٧ ، ثم انه ليس هناك ما يدعو الى اعادة اى حق لشعب فلسطين ، لانه لا يوجد قط ـ كما يقال لهم ـ شعب يحمل وصف شعب فلسطين !!

□

ان الحكومة الاسرائيلية والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية معا سوف تضغطان على هذه النقطة طويلا وبعناد شديد لاستعادة الهيبة أولا ولاستعادة الثقة ثانيا ولمواصلة أحلام التوسع ثالثا

واذا كان الضغط على هذه النقطة ـ أن ٦ اكتوبر ليس حدثا وانما هو حادثة ـ لم يشهد حتى الان تركيزا شديدا فان السبب يعود الى الانتخابات

ان الحكومة والمؤسسة العسكرية تدرك أن الضغط على هذه النقطة ـ مع الاشارة فى نفس الوقت دلالة على صحتها الى عملية « الجنرال شارون » ـ معناه نسبة الفضل ببساطة الى كتلة المعارضة « ليكود » التى يعتبر « شارون » واحدا من أقطابها بل لعله أبرز مؤسسيها

بقى ان اقول ـ فيما يتعلق بنا ـ أن اسرائيل سوف تستغل عملية الجنرال شارون وثغرة

الغرب من قناة السويس ـ الى اقصى حد لكى تثبت لنا نحن ايضا ـ كما تثبت لنفسها ـ ان يوم ٦ أكتوبر لم يكن حدثا وانما كان حادثة عارضة لا يمكن ان تتاسس عليها نتائج بعيدة المدى

ولقد أستطيع القول استنادا الى مصادر دولية موثوقة ان خطة اسرائيل فى مؤتمر جنيف سوف تسير على النهج التالى :

◀ فى المرحلة الاولى من المؤتمر وهى تبدا اليوم فان آبا ايبان وزير خارجية اسرائيل سوف يتقدم بتصور اسرائيل للسلام ... صورة وردية : علاقات جوار حسن ، وتعاون اقتصادى وعلمى مفتوح ، وحدود بغير أسلاك شائكة او الغام ، وسفراء وسياح ، كأنما لم يحدث شىء بين العرب واسرائيل على الاطلاق ، كأنه لم تضع حقوق شعوب واراضى شعوب ولم تتعرض للعدوان وللارهاب شعوب ... كان التاريخ يولد من الضياع هذا اليوم فقط وعلى أساس الامر الواقع ...

كأن التاريخ زر كهربائى يضغط عليه آبا ايبان فيحدث شىء ... ثم يضغط عليه مرة أخرى فيحدث نقيض هذا الشىء!

◀ فى المرحلة الثانية من المؤتمر وهى على الارجح فى نهاية شهر يناير القادم ، وبعد ان تكون الانتخابات العامة فى اسرائيل قد انتهت وتشكلت الحكومة الاسرائيلية الجديدة على اساسها فان اسرائيل سوف تركز على المساومة بالثغرة فى الغرب ضمن ما يسمونه « عملية الفصل ما بين القوات المتحاربة »

سوف تعرض اسرائيل ، او لعلها تتظاهر بالقبول تحت الحاح أمريكى عنيف ـ !! ـ بان تسحب قواتها من ثغرة الغرب والى عشرين كيلومترا فى الشرق مقابل أن تقوم مصر بتخفيف قواتها العسكرية التى عبرت القناة من الجيشين الثانى والثالث وتحديد حجم قوة النيران فيهما ... ثم تتمركز قوات الامم المتحدة بين الجيش المصرى والجيش الاسرائيلى ...

اى ان خطة اسرائيل فى هذه المرحلة سوف ترتكز على تمسكها بمنطقة المضايق الحاكمة فى سيناء

ولتمض المؤتمرات والمحادثات واللقاءات بعد ذلك سنين فى أعقاب سنين ... لا شىء يهم مادامت اسرائيل ممسكة ومتحكمة فى مفاتيح مصر

الاستراتيجية من الشرق ، ومفاتيح مصر الاستراتيجية من الشرق هى بالتأكيد مضايق سيناء

□

ولعلى فى غير حاجة الى القول بان هذه اللعبة ليست لمصر حتى وان كان ثمنها ثغرة الغرب

لعلى اقول اكثر :

ان ثغرة الغرب بسبعة الوية اسرائيلية كاملة محشورة فيها حشرا يمكن ان تكون رهينة اسرائيلية فى متناول يدنا اكثر منها خنجرا غائرا فى كتفنا

الالوية السبعة فى الثغرة يمكن ان تكون رهينة لانها :

- محشورة حشرا كما قلت
- خطوط مواصلاتها بعيدة
- مدخلها الى الغرب محصور بين الجيشين الثانى والثالث
- انتشارها فى المساحة التى تحتلها انتشار خطر عليها وهو غير متوازن
- طوق قواتنا من حولها نصف دائرة محكمة من الفولاذ

□

لعلى اقول فى النهاية :

ـ ان ثغرة الغرب ليست موضوعا تضغط علينا به اسرائيل وانما هى اقرب الى ان تكون موضوعا نضغط به نحن على اسرائيل »

ذلك ما تعلمه لنا روح ٦ اكتوبر

ثم لكى نثبت ـ وعلى المدى الطويل ـ لاسرائيل ولكل من فيها ان ٦ اكتوبر كان حدثا ولم يكن حادثة

ثم لكى يواصل التاريخ مسيرته وتتراجع الاسطورة !

محمد حسنين هيكل